أرز لبنان

في

هيكل سليمان (١)

لحضرة الناروي بطرس روفائيل

نحو القرن العاشر قبل المسيح ، كانت مملكة بني اسرائيل قد اتسعت اتساعاً لم تعرفهُ فيما سلف من الايام . كانت تمتدّ من حدود مصر الى حدود بلاد الكلدان ، ومن شاطئ البحر الاحمر الى جبل لبنان.

ولمَّا حارب داود الملك اليبوسيين ، فتح عنوةً مدينتهم اورشليم واتخذها عاصمة لهُ ، وأراد ان يجعلها جميلة عظيمة غنيمة . وكان يعلم حقّ العلم ان رعاياهُ يجهلون فنون الهندسة والنقش ، فاستدعى الفينيقيين ليضعوا فكرتهُ موضع التحقيق.

فأرسل اليهِ حيرام ملك صور بخشب الارز مع مهندسين ونقاشين اقاموا البيوت البهيجة ، والبنايات الفخمة ، فسقفوها بالارز وشدّوا مصاريع الابواب بالواح من الارز ، وبنوا للملك قصراً لا مثيل لهُ . في ذلك القصر ، كان داود يضرب بالقيثارة بينما كانت ميكال ابنة شاول امرأتهُ ، تستهزئ بهِ ساخرة محتقرة . فيهِ ارتكب خطيئتهُ ، وبكى وتاب ، وفيهِ ايضاً كتب مزاميره البديعة وضمّنها اصدق علامات الندم واسمى عواطف الايمان والرجاء.

ولمَّا أنجزت تلك البناية الملكيَّة سرّ داود كل السرور ، وقال لناثان النبي مفتخراً : « ها انا مقيمٌ في بيتٍ من ارز . » فاجابهُ النبي : « اصنع كلّ ما في نفسك لان الله معك . »

* * *

١) من اراد الاطلاع على مظانّ هذا الموضوع ، عليه بمراجعة الفصل السابع من كتاب للمؤلف في اللغة الافرنسية عنوانه : « Le Cèdre du Liban dans l'Histoire »

وبعد ان استقرّ مقام داود في قصره ، صار كلام الله الى ناثان قائلًا : اذهب وقل لداود عبدي : « اما انت فلم تبنوا لي بيتاً من الارز ؟ اني لم اسكن بيتاً يوم أخرجتُ اسرائيل من مصر الى هذا اليوم ، ولكني كنتُ من خيمة الى خيمة ومن مظلة الى مظلة . »

فكلّم ناثان داودَ بما سمع ، فداخل حينئذٍ داودَ خزيٌ ، اذ رأى ان لا بيت للربّ الاله بينما كان للآلهة الكذبة ، عند جيرانه المصريين والفينيقيين ، هياكل وبيوت شاهقة غنيّة مشهورة .

فعزم على تشييد هيكل يكون بيتَ قرار لتابوت العهد ، وللوطئ قدمي الرب ، اله اسرائيل . فأقام محاتين ليحتوا حجارة مربّعة للبناء ، «وجهّز حديداً كثيراً للمسامير لمصاريع الابواب ، ونحاساً كثيراً يفوت الوزن ، وخشب ارز لا يحصى لان اهل صور وصيدا احضروا خشب ارز كثير الى داود » .

لكن تحقيق الفكرة كان مُلقى على عاتق سليمان ، لان داود كان شاخ واتت ساعة وفاته ، فأحضر ابنهُ واعطاهُ رسم الهيكل وبيوته وخزائنه وغرفه ومخادعه الداخلية ، وجميع المخادع حولهُ ، وخزائن بيت الله وخزائن الاقداس .

ولما جلس سليمان على عرش ابيه ، باشر العمل ، وزاد على موادّ البناء زيادةً كبيرة ، حتى انهُ « جعل الفضة في اورشليم مثل الحجارة ، وجعل خشب الارز مثل الجميز الذي في الصحارى كثرة » .

وحذا سليمان حذو ابيه فاستنجد الفينيقيين ووكل اليهم القيام بالعمل . ولا غروَ فان حذاقتهم كانت معروفة وهياكل آلهتهم في بيبلوس (جبيل) واقفا ، وصيدا ، وصور ، اشهر من نار على علم .

فبعث الى حيرام ملك صور برسالة قائلًا : « كما فعلتَ مع داود ابي ، وأرسلتَ لهُ ارزاً ليبني لهُ بيتاً ليسكن فيه ، تفعلُ معي . فاني أبني بيتاً لاسم الرب الهي لاقدّسهُ لهُ وأُقتر امامهُ بخوراً عطراً . والبيت الذي انا ابنيهِ بيت عظيم ، لان الهنا عظيم فوق جميع الالهة . فمن يستطيع ان يبني لهُ بيتاً والسماوات وسماوات السماوات لا تسعهُ ، ومن أنا حتى ابني لهُ بيتاً الّا لأسجد لهُ . فالآن

أرسلْ لي رجلاً حاذقاً بعمل الذهب والفضة والنحاس والحديد والأرجوان، ماهراً في النقش ... وأرسلْ لي اخشاب ارز وسرو وصندل من لبنان ، لاني أعلم ان عبيدك حاذقون بقطع الخشب من لبنان . وهؤلاء عبيدي مع عبيدك ، فليجهزوا لي اخشاباً بكثرة ؛ لان البيت الذي ابنيه عظيم عجيب . وانا اعطي القطّاعين الذين يقطعون الخشب عشرين الف كُرّ من الحنطة طعاماً لعبيدك ، وعشرين الف كُرّ من الشعير ، وعشرين الف بَثّ من الخمر ، وعشرين الف بثّ من الزيت . »

وكان الكُرّ يوازي تقريباً اربعمائة ليتر ، والبثّ اربعين ليترًا

ولمّا اطلع حيرام على كتابة سليمان ، وجد الشروط موافقة جدًّا . فاجابهُ ، وهو وثنيّ يعبد بعل وعشتروت ، قال : «مُبارك الرب اله اسرائيل صانع السماوات والارض الذي رزقَ داود الملك ابنًا حكيماً . صاحب معرفة وفهم ليبني بيتاً للربّ . والآن فقد وجّهتُ رجلاً ماهراً صاحب فهم ، حيرامَ ، ابوهُ رجل من صور ، وهو خبيرٌ بعمل الذهب والفضة والنحاس والحديد والحجر والخشب والارجوان ، وصناعة كلّ نقش واختراع كل شيء يُلقى اليه . والآن فالحنطة والشعيرُ والزيتُ والخمرُ ما تكلّم عنهُ سيّدي يرسلهُ لعبيده . ونحن نقطع الخشب من لبنان بحسب كلّ حاجتك ونرسلهُ اليك على الطوافي في بحر يافا ، وانت تُصعدهُ الى اورشليم . »

وأصحب ملكُ صور حيرامَ رئيس العمل عدد عديد من المهندسين والنقّاشين والنحّاتين والنجّارين والبنّائين والرسّامين . فسخّر سليمان الشعب الذين بقوا من الاموريين والحثّيين والفرزيين والحوّيين واليبوسيين الذين لم يكونوا من بني اسرائيل . ضرب عليهم تسخير عبوديّة لاشغال الهيكل . وسخّر ايضاً كل اسرائيل ، فعيّن ثلاثين الف رجل . كان يرسل منهم الى لبنان عشرة آلاف في الشهر مناوبةً ، فيكونون في لبنان شهرًا وفي بيوتهم شهرين . وكان سبعون الف رجل يحملون الاثقال وينقلون الاخشاب من يافا الى اورشليم ، وثمانون الف رجل يقطعون الحجارة في جهات جبيل وحوالي اورشليم ، وثلاثة آلاف وستمائة يناظرون ويأمرون على القوم الذين يعملون العمل .

لا نعجبنّ من مثل هذا التسخير لالوف من العملة ، فانهُ كان مألوفاً في الايام القديمة لاقامة المشاريع العامّة . روى المؤرخ هيرودوت انهُ سُخّر لتشييد هرَم شيوبس في مصر مئة الف عامل ، يتناوبون في الشغل في كل ثلاثة اشهر ، وذلك مدة عشرين سنة .

وفي احد مؤلفات لينورمان الاثري الشهير صورة يُرى فيها مئات من العبيد مربوطين بعضهم الى بعض بحبال قويّة يجرّون على دواليب من خشب ، وبواسطة آلة رافعة ، ثورًا مجنّحاً عظيماً من الحجر .

ولم تكن اجرة العامل باهظة ، بل كانت تقوم في اغلب الاحيان بشيء من القمح او من بعض الحبوب ، وبشيء من الزيت والخمر

وكان الاشراف والاغنياء لا يعتبرون العبيد وأسرى الحرب من جنس آدم وحوّاء ، انما كانوا يُعدّونهم آلات للعمل لا نفس لهم ولا عقل ، بل لا لحم فيهم ولا دم . وسار عندهم مثل : « ان الانسان له ظهر ، فلا يطيع ولا يتحرّك الّا اذا شعر بضرب العصا المؤلم » هي العصا خصوصاً التي شُيّدت في مصر الاهرام ، وفي صور هيكل بعل العجيب ، وفي اثينا قلعتها المدهشة ، وفي بعلبك بناياتها الفريدة بفخامتها . هي العصا ايضاً التي ساعدت في تشييد هيكل اورشليم .

ولمّا شخص حيرام ومن معهُ بين يدي سليمان شرع بالعمل . وأمر سليمان ان يقلعوا حجارة كبيرة لتأسيس الهيكل . فكان العملة يستخرجون الحجارة ويقطعونها ؛ واما أمر نحتها وتنظيمها فكان موكولًا الى اهل بيبلوس (جبيل) ، وكانت بيبلوس مدينة فينيقية مشهورة بحذاقة بنائيها ونقّاشيها . فكانت الحجارة تُنقل الى مكان البناء تامّة كاملة ، ولم تكن تُسمع مطرقةٌ ولا نشرٌ ولا شيء من آلات الحديد عند البناء .

ودامت الاعمال الاعدادية ثلاث سنين . وبُدئ بالبنيان في السنة الرابعة لملك سليمان . ولم يُنجز الّا بعد سبع سنين ، وكان ذلك في السنة ٤٨٧ لخروج بني اسرائيل ، ونحو الف سنة قبل ميلاد مخلّص العالم سيّدنا يسوع المسيح .

كان الهيكل ستين ذراعاً طولًا ، وعشرين عرضاً ، وثلاثين علوّاً ، والرواق

امام هيكل البيت عشرين ذراعاً ؛ واقيم على جوانب الهيكل طوابق ثلاثة ، وغُرُفاتٌ على محيط الهيكل لخدمته وأثاثه وللكهنة . وسقف الهيكل كلهُ بالواح من الارز ، وفرش الطوابق المحيطة بالهيكل بخشب الارز ، وبنى الدار ثلاثة صفوف من الحجارة المنحوتة وصفاً من الواح الارز . وداخل الهيكل فرش ارضهُ بالواح السرو وجدرانهُ بالواح ارز ، وكان على الجدران ارزٌ منقوش على شكل زهور مُتفتحة . ويُخبر الكتاب المقدس ان داخل الهيكل كان كلهُ ارزاً فلم يكن يُرى حجر .

وكان قدس الاقداس اي بيت تابوت العهد ، حيث لا يدخل رئيس الكهنة الّا مرة واحدة في السنة عشرين ذراعاً طولاً ، وعشرين عرضاً ، بُني بالواح الارز ، وغشّاهُ سليمان بذهب خالص ؛ وصنع مذبحاً من الارز تجاه قدس الاقداس وغشاهُ بذهب ، وهذا هو مذبح البخور .

قال الكتاب المقدّس عن حيرام انهُ رجل يمتلئ حكمةً ومعرفةً في عمل كل صنعةٍ من النحاس ، فأشرف ليس على اقامة البناء ونقشه فحسبُ ، بل ايضاً على صنع اثاث الهيكل . فبنى في سهل نهر الاردن مصانع اصبّ النحاس وسبكه . فرسم عمودي النحاس طول العمود الواحد ثماني عشرة ذراعاً ، وصنع تاجين من نحاس مسبوك ليضعهما على رأسي العمودين ، سَبْكِ كلّ منهما خمس أذرع ، ونصب العمودين في رواق الهيكل .

« وصنع البحر النحاسيّ مستديراً قطره من شفةٍ الى شفة عشر اذرع » وفي وسعهِ ان يحتوي على الاقلّ على اربعين الف بِتْر من الماء . وكان قائماً على اثني عشر ثوراً من النحاس . « وصنع المُعتلات العشر والقواعدَ والقدورَ والمجارفَ من النحاس المجلوّ . وصنع جميع ادوات بيت الربّ : المذبح من الذهب ، والمائدة التي عليها خبزُ التقدمة من الذهب ، والمناثر من ذهب خالص خمساً عن اليمين وخمساً عن الشمال ، والازهارَ والسُّرُجَ من الذهب ، والطست والمقاريض والجامات والصحون والمجامر من ذهب خالص ، والمفاصل لمصاريع قدس الاقداس ولمصاريع الهيكل من ذهب » . وكانت نفقاتُ الهيكل على سليمان باهظة .

كان حيرام ملك صور قد أمدَّه بخشب أرز وسرو وبذهب على حسب طلبه ، وكان سليمان يرسل اليه لقاء ذلك بحبوب وخمر وزيت . وبعد عشرين سنة خلت من اتمام الهيكل ، كان سليمان لا يزال مديناً لملك صور بمائة وعشرين قنطاراً من الذهب (١ . ولتصفية الحساب اعطاهُ سليمان عشرين مدينة في الجليل بقرب عكا . فخرج ملك صور لينظر اليها فلم تحسن في عينيه فقال : « ما هذه المدنُ التي اعطيتني يا أخي » وسماها ارض كابول اي جدباء لا فائدة منها

وبقي هذا البناء المقدس قائماً نحو ٤١٧ ، اي الى سنة ٥٨٧ قبل ميلاد المسيح المخلّص ، وفي تلك السنة وفد نبوكدنصَّرُ ، ملك بابل ، مع جيوشه على اورشليم . فحصرها وأعمل السيفَ في بني اسرائيل ، والذين نَجوا من السيف جَلاهم الى بابل حيثُ صاروا عبيداً لهُ ولبنيه .

وكسر عمد النحاس التي في الهيكل ، والقواعد وبحر النحاس ، وحمل نحاسها الى بابل ، وأخذ القدورَ والمجارفَ والملاقط والصحون وجميع ادوات النحاس التي كان بنو اسرائيل يخدمون بها . والمجامر والمقاريض ما كان منها ذهباً فالذهب ، وما كان منها فضةً فالفضة أخذها الكلدانيون .

وهدم أسوار اورشليم ، وأحرق جميع بيوتها ، واحرق ايضاً هيكل الرب . ولما كان خشبُ الارز والسرو كثيراً في داخله وفي خارجه ، في سقفه وجدرانه وأرضه ، التهمتهُ النار عالاً وسريعاً . وأصبحت اورشليم قفراً لان شعب اسرائيل سيقَ الى المنفى .

(للبحث صلة)

١) كان وزن القنطار نحو ٤٣ كيلوغراماً ونصف كيلوغرام